لغز منزل الأشباح

أشهر منزل مسكون في أمريكا

المنازل القديمة تحمل بين طياتها ذكريات كثيرة لأناس عاشوا في كنفها سنوات طويلة ثم فارقوها ورحلوا عنها إلى الأجداث تاركين خلفهم صمتا مطبقا بعد أن كانت أحاديثهم وضحكاتهم تملئ الأفاق. لكن أحيانا وفي حالات نادرة، تحتوي جدران تلك المنازل العتيقة على أمور أكثر من الذكريات، أمور تظهر حينا كأصوات مكتومة وخطوات صامتة لا يعلم مصدرها احد وطورا تتجلى في صورة وجوه شاحبة مخيفة تطل من عالم آخر لتثير في نفوس الأحياء رعبا وهلعا لا يوصف. البعض يسميها أشباح ويربطها بأرواح الموتى زاعما أنها تبقى، لسبب غير معروف، في البقعة التي ماتت فيها. والمنزل الذي سنكتب عنه اليوم هو احد أكثر تلك البقع الموحشة ازدحاما بالأشباح!! حتى انه استحق عن جدارة لقب "أشهر منزل مسكون في أمريكا".

"أشباح! .. هل تمزح؟!" ضحكت فرانسيس تعليقا على القصة التي رواها لها الرجل العجوز الذي يدير المنزل ثم أردفت بنبرة يشوبها شيء من التحدي : "لا يوجد شيء اسمه أشباح يا سيدي، هذه مجرد خرافات ولكي اثبت لك ذلك سأبيت هنا الليلة .. احجز لي غرفة رجاءا وسنرى من سيخيف الآخر، أنا أم أشباحك القديمة المهترئة؟".

لم يجادلها الرجل العجوز، سجل اسمها في دفتره ثم ناولها مفاتيح غرفتها وتمنى لها ليلة سعيدة. كان العجوز رجلا وقورا محترما يتحدث بلباقة وأدب جم، لكن فرانسيس انزعجت من تلك الابتسامة الخبيثة التي لم تبرح شفتاه والنظرة الساخرة التي كانت تبرق في عيناه.

"أي مجنون يصدق هراء الأشباح!" تمتمت فرانسيس مع نفسها وهي تغالب النعاس على السرير الوثير الذي يتوسط الغرفة الصغيرة التي استأجرتها تلك الليلة، ولم تمض سوى لحظات حتى استسلمت لجفونها الثقيلة المتعبة وغطت في نوم عميق.

حينما فتحت فرانسيس عينها مرة أخرى لم تكن تعلم كم هو الوقت، هل بزغ الفجر ؟ كان هناك ضوء اصفر خافت يتراقص على الجدار، شعرت بكآبة غريبة تسيطر على مشاعرها، أصبح هواء الغرفة ثقيلا بصورة مزعجة وأحست كأن شيء ما يقبع فوق صدرها، أدارت جسدها ببطء نحو الجزء الأخر من السرير لكنها تجمدت مكانها فجأة واجتاحها خوف رهيب، لقد كانت هناك امرأة سوداء تقف عند حافة السرير تحدق إليها، كانت تحمل بيدها شمعة وتضع على رأسها قلنسوة خضراء، ملابسها غريبة وقديمة الطراز.

صرخت فرانسيس ودفنت رأسها تحت اللحاف ثم مرت لحظات سادها صمت وسكون عجيب.

"ربما تكون خدعة أو مزحة سمجة قام بها ذلك العجوز" حدثت فرانسيس نفسها وهي تخرج رأسها شيئا فشيئا من تحت الغطاء، كانت

المرأة السوداء لاتزال واقفة في مكانها كالتمثال، بدت حقيقية إلى درجة ان لهب شمعتها كان يتراقص وينبعث عنه خيط رفيع من الدخان، تشجعت فرانسيس ومدت يدها ببطء نحو المرأة، لكن أصابعها المرتجفة لم تكد تصل إليها حتى اختفت وتلاشت كالدخان.

في صباح اليوم التالي لم تكن السيدة فرانسيس مايرز تؤمن بالأشباح فحسب بل إنها ستؤلف مستقبلا كتابا حول تجربتها الشخصية مع أشباح منزل الآس، تلك التجربة التي دفعتها لاحقا لنبش تاريخ المنزل ثم شراءه لتصبح واحدة من بين الأسماء الكثيرة التي امتلكته طوال قرنين من الزمان.

شبح الخادمة كلوي

في مطلع القرن التاسع عشر كانت العبودية جزءا رئيسيا من الحياة الأمريكية خصوصا في الجنوب حيث مزارع القطن الشاسعة، ومزرعة الآس (Myrtles Plantation) حالها حال المزارع الأخرى كانت تمتلك المئات من العبيد، كانوا يعيشون حياة بائسة، يعملون طوال النهار في الحقول ويباتون ليلهم في أكواخ حقيرة بائسة لا تصلح حتى كزرائب لعيش الحيوانات، لكن ما خفف من شقائهم قليلا هو طيبة قلب مالكة الأرض السيدة إليزابيث بوتر التي ورثت المزرعة وما عليها من زوجها وقامت بإدارتها بشكل جيد لسنوات طويلة.

مرت السنين وتقدمت السيدة بوتر في السن فلم تعد قادرة على مراقبة العبيد ومتابعة العمل في الحقول، ولأن أي من أبناءها الأربعة الذين

يعيشون في المدينة لم يرغب في إدارة المزرعة، لذلك اضطرت العجوز إلى إيكال هذه المهمة إلى كلارك وودروف زوج ابنتها سارا التي كانت تعيش معها في المنزل برفقة ابنتيها كارولينيا وماري.

كان وودروف إنسانا انتهازيا اشتهر برداءة الطباع. كان يعامل العبيد بقسوة وعرف عنه اتخاذه لخليلات من الزنجيات العاملات لديه، كانت لديه طرقه في إغوائهن وإغرائهن وإجبارهن، وكانت الخادمة كلوي هي إحدى تلك الخليلات، كان وودروف يهددها بإعادتها للعمل الشاق في الحقول إذا لم تستجب لنزواته الحيوانية لذلك كانت تطيعه وتنفذ جميع رغباته، لكنه بدأ يمل منها بالتدريج ثم هجرها واتخذ لنفسه خليلة أخرى.

عاشت كلوي في رعب مستمر منذ أن هجرها وودروف ولم يعد يهتم لشأنها، كانت خائفة من أن تتم إعادتها للعمل في الحقول، كان الأمر أشبه بإخراجها من الجنة لكي ترمى في الجحيم. لهذا أخذت كلوي تتصنت على أحاديث وودروف مع زوجته وحماته لترى إن كانوا يذكرون اسمها أو يقولون شيئا عن إعادتها للعمل في الحقول. ولسوء حظ كلوي المسكينة، امسك بها وودروف متلبسة وهي تتصنت على أحاديث العائلة لذلك قرر معاقبتها لتصبح عبرة للآخرين، قام بسحبها أمام بقية الخادمات ثم اخرج سكينا وقطع إذنها، ومنذ ذلك الحين أخذت المسكينة كلوي ترتدي قلنسوة خضراء لتغطي الأثر المشوه لأذنها المقطوعة.

ماذا حدث بعد ذلك ؟ هنا تختلف الرواية لكن النتيجة واحدة، فهناك فريق يزعم بأن كلوي أرادت استعادت ثقة العائلة مرة أخرى فقامت بوضع

مقدار من السم في كعكة طلبت منها السيدة وودروف صنعها من اجل الاحتفال بعيد ميلاد ابنتها كارولينيا. لقد اعتقدت الساذجة كلوي بأن السم سيجعل العائلة تمرض فقط فتقوم هي بعيادتهم وتحظى بثقتهم وحبهم من جديد. وهناك فريق ثاني يزعم أن كلوي وضعت السم في الكعكة بغرض الانتقام من وودروف. لكن على العموم وأيا ما كان السبب الذي دفع كلوي لتسميم الكعكة فأن النتيجة كانت مأساوية ومحزنة بكل معنى الكلمة، إذ إن وودروف نفسه لم يأكل من الكعكة لكن زوجته الحامل وطفلتاه فعلتا وسرعان ما ظهرت عليهن أعراض التسمم وفارقن الحياة في نفس اليوم.

كان غضب وحزن كلارك وودروف لا يوصف، وبسبب خشية العبيد من أن يطالهم انتقامه توجه البعض منهم إلى الكوخ الذي كانت كلوي تختبئ فيه وقاموا بجرها إلى منزل الآس حيث وضعوا حبلا في عنقها وشنقوها على أغصان إحدى الأشجار المقابلة للمنزل، ثم انزلوا جثتها وقاموا بتقطيعها إلى أجزاء صغيرة سحقوها بالحجارة ورموها في مياه نهر الميسيسيبي المحاذي للمزرعة.

كانت تلك الليلة هي الأكثر دموية ومرعبة في تاريخ المزرعة، اختلطت فيها رائحة الدم والموت مع صرخات وودروف الغاضبة والمجنونة، وحين بزغ الفجر، ألقى وودروف نظرة أخيرة على غرفة الطعام التي ماتت فيها زوجته وطفلتيه، ثم اقفل بابها بأحكام ومنع أي شخص من دخولها حتى آخر يوم في حياته، واليوم يسمى الزوار تلك الغرفة بـــ "غرفة اللعب" حيث يزعم البعض أن أصواتا لأطفال يلعبون

ويضحكون تصدر عنها في بعض الليالي، لكن عندما يتم تفقد الغرفة يجدونها فارغة دائما.

كما ان بعض المارة من أمام المنزل يشاهدون أحيانا في الليالي المقمرة شبح طفلة تقفز وتضحك عند نافذة غرفة اللعب، ويؤمن الكثير من الناس بأن هذه الأصوات والأشباح تعود إلى بنات وودروف البريئات اللائي فقدن حياتهن يوم الحادث.

الشبح الأشهر في المنزل هو شبح السيدة السوداء ذات القلنسوة الخضراء، والذي يعتقد الكثير من الناس انه شبح كلوي، ويقال أنها تتجول ليلا في أرجاء المنزل تحمل بيدها شمعة ويصحبها صوت خفي لنحيب وبكاء أطفال صغار، وقد تمكن احد مالكي المنزل من التقاط صورة مزعومة للشبح، وهذه الصورة تباع اليوم كتذكار للزوار التواقين لسماع قصص الأشباح، كما زعم عدد ممن باتوا ليلتهم في المنزل بأنهم استيقظوا في ساعة متأخرة من الليل ليشاهدوا امرأة سوداء تحمل بيدها شمعة وتقف عند حافة أسرتهم تحدق إليهم بغرابة.

المزيد من الأشباح

ربما كانت الميزة الأشهر لمنزل مزرعة الآس هي تعدد أشباحه، وقد أوجبت له هذه الميزة الحصول على لقب "أشهر منزل مسكون في أمريكا" عن جدارة، ويقال أن المنزل ملعون لأنه بني فوق مقبرة قديمة للهنود الحمر، وأن من بين أشباح المنزل العديدة هناك شبح لامرأة من الهنود الحمر. فيما يذهب رأي أخر إلى أن تعدد أشباح المنزل مرتبط بتاريخه

الدموي حيث يزعم أصحاب هذا الرأي وقوع إحدى عشر جريمة قتل داخله. من هذه الجرائم، مقتل لويس ستيرلنك اثر تلقيه عدة طعنات بالسكين داخل المنزل، ولويس هذا هو ابن احد ملاك المزرعة خلال القرن التاسع عشر.

هناك أيضا ثلاثة جنود اتحاديين اختبئوا وقتلوا داخل المنزل خلال إحدى معارك الحرب الأهلية الأمريكية، ويقال إن بقعة دم كبيرة على شكل إنسان ظلت تغطي أرضية الغرفة الذي قتل فيها احد هؤلاء الجنود ولم تفلح جميع محاولات إزالتها حتى اختفت من تلقاء نفسها بعد عدة سنوات.

في عشرينيات القرن المنصرم، عثرت الشرطة على جثة احد أبناء عائلة ويليمز المالكة للمنزل آنذاك مقتولا، ويبدو انه فقد حياته على يد بعض اللصوص الذين حاولوا سرقة المزرعة.

وليم ونتر هو أشهر المقتولين في المنزل، كان محاميا وصهرا للسيدة ماري كوب مالكة المزرعة وكان يعيش معها في منزل الآس برفقة زوجته وأطفاله. في إحدى ليالي عام ١٨٧١ ناداه شخص مجهول طالبا رؤيته في الخارج للتحدث معه، وما أن خرج ونتر من المنزل حتى أصابته رصاصة قاتلة، لكنه لم يمت في الحال، بل زحف عائدا إلى داخل المنزل رغم جراحه، واستمر بالزحف نحو السلم المؤدي إلى الطابق الثاني، كان يحاول الصعود لكي يموت في أحضان زوجته الحبيبة النائمة مع الأطفال في إحدى الغرف، لكن المسكين خارت قواه ولفظ أنفاسه الأخيرة عند الدرجة السابعة عشرة من السلم.

ويقال أن شبح وليم ونتر لازال يحاول الصعود إلى الطابق الثاني حتى اليوم لكنه يفشل في كل مرة وأن خطواته لازالت تسمع في بعض الليالي وهي ترتقي السلم باتجاه الأعلى لكنها تتوقف وتتلاشى دائما عند الدرجة السابعة عشر ولا تتجاوزها، أي بالضبط كما حدث معه أثناء موته.

هناك غرائب أخرى في منزل الآس، إحداها هي مرآة قديمة يقال أنها احتبست في داخلها أرواح بعض الذين لفظوا أنفاسهم داخل المنزل ولهذا تظهر عليها آثار بصمات يد مجهولة كأنما هناك من يحاول كسرها والخروج منها. وقد حاول احد مالكي المنزل ممن كانوا يسخرون من قصص الأشباح إزالة هذه البصمات عن طريق تبديل زجاج المرآة، لكنه وقف مذهولا بعد عدة أيام حين عاودت البصمات الظهور على الزجاج الجديد.

ومن غرائب هذه المرآة أيضا هو ظهور شبح فتاة تهبط السلم وهي تغني وترقص ثم تتوقف أمام المرآة فتتغير ملامحها إلى الخوف والغضب وتبدأ تجول بنظرها داخل المرآة كأنما تبحث عن شيء مفقود، ويقال أن هذا الشبح هو لفتاة تعرضت للقتل داخل المنزل لسبب مجهول بينما كانت واقفة أمام المرآة، ولأنها لم تستطع رؤية وجه قاتلها لهذا فأن شبحها الغاضب يجيل النظر داخل المرآة عسى أن تلمح انعكاس وجه القاتل فترتاح روحها المعذبة.

أحد الألغاز المحيرة أيضا هو بيانو موضوع في إحدى الغرف، زعم بعض من امضوا ليلتهم في المنزل بأنهم سمعوا صوته وهو يعزف طوال الليل، والغريب هو أن العازف المجهول لا يجيد سوى مقطوعة واحدة فقط

يستمر في تكرارها مرة بعد الأخرى. كان العزف يتوقف إذا دخل شخص ما إلى الغرفة ليتحقق من مصدر الصوت، وبالطبع كان سيجدها خالية ويشاهد لوحة مفاتيح البيانو مغلقة، لكن ما أن يغادر الغرفة حتى يعود صوت العزف مرة أخرى!.

في عام ١٩٨٥ حصل فريق تصوير احد المسلسلات التلفزيونية بعنوان (The Long Hot Summer) على الإذن من مالك المنزل لتصوير بعض المشاهد داخله، وقد مر طاقم التصوير هذا بتجربة محيرة داخل المنزل.

ففي احد المشاهد قام الطاقم بإزاحة أثاث "غرفة اللعب" وجمعه عند إحدى الزوايا من اجل تصوير لقطة تتطلب ذلك، وبعد أن أكملوا تصوير لقطتهم تلك انتقلوا إلى الغرفة المجاورة لإكمال المشهد. لكن بعد عدة دقائق حين عاد الفريق إلى "غرفة اللعب" كانت تنتظرهم مفاجأة كادت أن تفقدهم صوابهم، فجميع قطع الأثاث التي كانوا قد أزاحوها كانت قد عادت إلى مكانها بالضبط!، كانت صدمة حقيقية للطاقم لأنهم كانوا متأكدين من أن أحدا لم يدخل إلى موقع التصوير أثناء فترة انتقالهم القصيرة إلى الغرفة المجاورة. بسرعة قام طاقم التصوير بجمع معداته وفروا على عجل إلى منزل آخر ليكملوا تصوير مشاهدهم هناك.

في عام ٢٠٠١ واجه احد البرامج الوثائقية مشاكل تقنية عديدة لا يمكن تفسيرها أثناء تصوير حلقة عن المنزل، مثل انقطاع الكهرباء بدون

مبرر واختفاء بعض اللقطات من كاميرا التصوير وانفصال بعض كابلات معداتهم من تلقاء نفسها.

هناك أيضا قصة احد حراس البوابة المؤدية إلى المنزل، إذ كان يؤدي نوبة حراسته مساء احد الأيام حين ظهرت أمامه فجأة امرأة ترتدي ملابس بيضاء وعبرت البوابة من دون أن تلتفت إليه رغم انه نادى عليها لأكثر من مرة مما اضطره إلى محاولة اللحاق بها، لكن المسكين أصيب برعب لا يمكن وصفه حين تلاشى جسد المرأة عند مدخل المنزل، وفي اليوم التالي استقال الحارس المصدوم من عمله ولم يعد إلى منزل الآس مرة ثانية.

هناك قصص عن أشباح أخرى داخل المنزل، اغلبها لأطفال صغار، ربما لأن عدد كبير منهم ماتوا داخل المنزل خلال قرنين من الزمان. كما أن عدد أشباح المنزل تزايد باضطراد منذ أن أصبح قبلة للزوار والسياح خلال النصف الثاني من القرن المنصرم، إذ زعم العديد من أولئك الزوار رؤيتهم لأشباح وادعى بعضهم سماعهم أصوات أو مشاهدة أمور غريبة لم يستطيعوا تفسيرها مثل تحرك الأثاث وفتح أبواب الغرف وغلقها من تلقاء نفسها وسماع خطوات خفية تتجول داخل المنزل من دون أن يستطيعون رؤية أصحابها.

ماذا يقول التاريخ الرسمي للمنزل ؟

ربما يتمنى البعض من عشاق قصص الأشباح أن تنتهي مقالتنا هنا، حيث منزل مزرعة الآس القديم يعج بالأشباح التائهة والأرواح المعذبة

والعديد من الأمور الغريبة التي يعجز المنطق السليم عن تفسيرها، لكن ذلك ليس من شيم موقعنا الذي اعتاد على تقديم وجهات نظر وتفسيرات مختلفة للقضايا التي يتناولها تاركا الحكم الأخير فيها للقارئ.

يبدأ تاريخ المنزل مع ديفيد برادفورد، وهو ابن مهاجر ايرلندي درس القانون وزاول المحاماة ثم تم تعيينه أول وكيل قضائي في مقاطعة واشنطن بعد حرب الاستقلال عن بريطانيا ، لكنه ترك منصبه وهرب إلى لويزيانا (تحت سيطرة الأسبان آنذاك) بعد صدور أمر إلقاء قبض عليه لدوره في (ثورة الويسكي) عام ١٧٩١.

في لويزيانا قام برادفورد عام ١٧٩٤ بشراء مساحة كبيرة من الأرض المحاذية لنهر الميسيسيبي وشيد فوقها منزلا كبيرا مكونا من ثمان غرف وهو المنزل الذي سيعرف لاحقا بأسم منزل مزرعة الآس.

بعد بناءه المنزل أرسل برادفورد في طلب زوجته إليزابيث بوتر وأطفاله الخمسة، وقد استقرت العائلة في المنزل وعاشت فيه حتى بعد أن حصل برادفورد على عفو رئاسي عام ١٧٩٩.

قبل وفاته عام ١٨٠٨ اتخذ برادفورد تلميذا اسمه كلارك وودروف درسه أصول القانون. وودروف هذا هو نفس الشخص الذي تبدأ معه أسطورة أشباح منزل مزرعة الآس.

وودروف تزوج ابنة أستاذه الجميلة سارة برادفورد عام ١٨١٧ ثم أصبح القائم بأعمال عائلة برادفورد وسكن مع زوجته وحماته وأطفاله الثلاثة كارولينيا وجيمس وماري داخل منزل مزرعة الآس.

في عام ١٨٢٣ ماتت سارة برادفورد وتبعها ابنها جيمس في العام التالي ١٨٢٤ ثم ابنتها الكبرى كارولينيا عام ١٨٢٥ وجميعهم ماتوا بسبب أصابتهم بمرض الحمى الصفراء، واعتقد انك عزيزي القارئ تلاحظ هنا الاختلاف الواضح بين الحقائق التاريخية والأسطورة، ففي قصة الخادمة كلوي تموت الزوجة سارة وطفلتيها بالسم بينما الحقيقة التي توثقها سجلات الكنيسة التي كان إفراد العائلة يترددون إليها، تقول بأن سارة برادفورد وطفليها جيمس وكارولينيا فارقوا الحياة بمرض الحمى الصفراء بفارق عام بين وفاة كل منهم، والأطفال المتوفين هم ولد وبنت وليس بنتان كما في الأسطورة.

أضف إلى ذلك أن جميع السجلات والوثائق التاريخية لا تذكر أي شيء عن وجود خادمة من العبيد اسمها كلوي كانت تعيش يوما ما في المزرعة، كما لا يوجد أي دليل تاريخي يثبت ان وودروف كان يستغل زنجيات المزرعة جنسيا.

بعد وفاة زوجته وطفليه وموت حماته إليزابيث عام ١٨٣٠، ترك كلارك وودروف مزرعة الآس وانتقل إلى مدينة لويزيانا حيث عاش مع ابنته الوحيدة ماري وزوجها حتى فارق الحياة. ولاحظ هنا أن ماري هذه يفترض أنها ماتت بالسم مع أمها وأختها حين كانت طفلة!. لكن ماري الحقيقية عاشت حتى تزوجت وأنجبت وشهدت موت والدها العجوز عام ١٨٥١.

عام ١٨٣٤ اشترى رافن غراي ستيرلنك المزرعة وما عليها من وودروف، كانت عائلة ستيرلنك غنية لذلك صرفت أموالا طائلة على ترميم المنزل وتوسيعه إلى الشكل الذي هو عليه اليوم بحيث أصبح حجمه ضعف حجم المنزل الأصلي الذي بناه برادفورد أواخر القرن الثامن عشر، وقام السيد رافن باستيراد أثاث فاخر من أوربا خصيصا لمنزله الجديد.

رغم الأموال الطائلة التي أنفقتها عائلة ستيرلنك على المنزل إلا إن حياتها داخله تواكبت مع الكثير من المصائب والمحن، فمن بين الأطفال التسعة للسيد رافن ستيرلنك وزوجته ماري كوب، أربعة فقط هم من وصلوا إلى سن الرشد وتزوجوا أما البقية فقد ماتوا جميعهم بمرض الحمى الصفراء، لكن أيا منهم لم يقتل في المنزل كما تقول الأساطير.

السيد رافن ستيرلنك نفسه مات في المنزل عام ١٨٥٤ بسبب إصابته بمرض السل، وبعد موته قامت زوجته بإدارة المزرعة بأحسن صورة لعدة سنوات ازدهرت خلالها أعمال العائلة وازدادت ثروتها، لكن المصائب كما يبدو أبت أن تفارق العائلة إذ أصيبت بانتكاسة مالية كبيرة خلال الحرب الأهلية الأمريكية وقام جنود الاتحاد (أي التابعين للعاصمة واشنطن) بنهب المزرعة وتحطيم ممتلكاتها بعد هزيمة المقاطعات الانفصالية، وهنا أيضا تختلف الحقيقة عن الأسطورة، فسجلات الجيش الأمريكي لا تسجل أي حادثة قتل تعرض لها جنودها داخل مزرعة الآس ولا يوجد أي دليل تاريخي يثبت مقتل ثلاث منهم داخل منزلها.

في عام ١٨٦٥ سلمت ماري كوب إدارة المزرعة إلى زوج ابنتها وليم ونتر الذي كان يعيش معها في منزل الآس برفقة زوجته وأطفاله الخمسة، كانت المزرعة آنذاك، وبسبب النكبات المتلاحقة، مدينة بمبالغ كبيرة للبنك الذي قام بالحجز عليها، إلا أن ونتر استطاع سداد الديون واستعادة المزرعة عام ١٨٦٧.

في عام ١٨٦٨ ماتت الطفلة كاتي ابنة ونتر بسبب إصابتها بالتيفوئيد

في ليلة ٢٦ يناير من عام ١٨٧١ بينما كان وليم ونتر في المنزل مع عائلته اقترب رجل يمتطي صهوة حصان من المنزل وناداه بأسمه مطالبا إياه بالخروج لكي يتحدث معه في شأن ما، حين خرج وليم لم يكن مسلحا لأنه ظن بأن الرجل يعرفه، لكن لم تمض سوى لحظات على خروجه حتى سمعت زوجته صوت عدة أطلاقات نارية فهرعت إلى الخارج لتجد زوجها مقتولا يتخبط في دمه فيما لاذ القاتل بالفرار من دون ان يستطيع رؤيته احد وبقى لغز هويته بلا حل إلى يومنا هذا. في الحقيقة أن جريمة مقتل وليم ونتر هي حادث القتل الوحيد الذي يمكن إثباته تاريخيا من بين جميع الجرائم المزعومة التي اقترفت في المزرعة.

صحيح أن وليم ونتر تم قتله غدرا أمام منزله ولم يعرف من هو قاتله إلى اليوم، لكن لا يوجد أي دليل على أن الرجل لم يمت في الحال وانه زحف إلى الداخل وحاول ارتقاء السلم إلى الطابق الثاني ليفارق الحياة عند الدرجة السابعة عشر!.

بعد مقتل ونتر عاشت عائلة ستيرلنك في المنزل حتى عام ١٨٧٨ حيث ماتت ماري كوب فنشب نزاع بين أبنائها حول الإرث، كانت المزرعة لاتزال مدينة بقروض كثيرة، لذلك قام احد الأشقاء واسمه ستيفان بشراء حصص إخوته ثم باع المزرعة عام ١٨٨٦، ويقال انه خسرها في لعبة قمار.

بيعت المزرعة أكثر من مرة قبل أن تستقر ملكيتها أخيرا عند هاريسون وليمز في عام ١٨٨٩، وقد انتقلت عائلة وليمز للعيش في منزل المزرعة وبذلت جهدا جبارا خلال السنوات التالية في محاولة إصلاح أحوال الحقول التي أهملت وأصابها الخراب لسنوات طويلة، وبالفعل تكللت جهود العائلة بالنجاح وعاد الازدهار الى المزرعة مرة أخرى.

لم يخلوا عهد عائلة وليمز في المزرعة من بعض الحوادث المؤلمة، فأحد أبناء السيد وليمز واسمه هاري مات غرقا في نهر الميسيسيبي خلال عاصفة هوجاء ضربت المنطقة. وفي عام ١٩٢٧ قتل اللصوص احد أفراد العائلة في كوخ داخل المزرعة، لكنه لم يمت داخل منزل الأشباح.

وخلال عهد عائلة وليمز أيضا ظهرت لأول مرة حكاية شبح الخادمة كلوي، القصة بدأت بمزحة حيث أن عمة عجوز كانت تعيش مع العائلة لفترة طويلة أخبرتهم مرارا عن رؤيتها لشبح امرأة سوداء تتجول داخل المنزل. في البداية وجدت العائلة في القصة مناسبة للضحك إلا أنها سرعان ما انتشرت بين عمال المزرعة والمزارعين في البلدات القريبة، وهكذا بدأ السكان يتداولون قصة كلوي الخادمة للمرة الأولى.

أقامت عائلة وليمز في المزرعة لستين عاما حتى باعها الورثة عام ١٩٥٠ إلى أرملة غنية تدعى ماجوري مانسون، وقد انتبهت تلك الأرملة خلال فترة إقامتها في منزل المزرعة إلى حدوث أمور غريبة لم تستطع تفسيرها لذلك أخذت تبحث في تاريخ المنزل وتسأل العجائز من جيرانها المزارعين، وهكذا بدأت قصص الأشباح تتوالى واكتسب المكان شهرته كمنزل مسكون خلال العقود التالية.

خلال الستين عاما المنصرمة تم بيع وشراء المنزل مرات عديدة وقد استقرت ملكيته اخيرا عند جون وتيتا موسز اللذان حولاه إلى معلم سياحي يقدم لزواره فرصة المبيت مع تقديم وجبة فطور عند الصباح إضافة إلى جولة في أرجاء المنزل والمزرعة.

المنزل أضيف إلى قائمة الأماكن التاريخية الوطنية الأمريكية في عام ١٩٧٨.

أين الحقيقة ؟

عزيزي القارئ، إن السجلات والوثائق التاريخية لا تشير إلى وجود شخصية الخادمة كلوي، لكن الإنصاف والأمانة التاريخية تدفعنا إلى التنويه بأن آلاف العبيد السود قضوا نحبهم تحت ظروف لا إنسانية في مزارع البيض، خصوصا في جنوب الولايات المتحدة، حيث لم يكن عجيبا أن تتم معاقبة هؤلاء العبيد بشدة كأن يجلدوا أو تقطع أذانهم وألسنتهم أو أن يقتلوا لأتفه الأسباب، ولم يكن مستغربا أيضا أن يقوم السادة البيض باغتصاب النساء السود. لذلك فأن عدم وجود اسم الخادمة كلوي في

سجلات مزرعة الآس لا يعني بالطبع أن المزرعة لم تشهد معاناة وموت العديد من العبيد. وربما يكون منشأ أسطورة الخادمة كلوي يعود في الأصل إلى هؤلاء العبيد الذين كانوا يجدون في القصص والحكايات الخيالية ملاذهم الوحيد من الحياة القاسية والوحشية التي كانوا يكابدونها.

ثم أن هناك سؤال أخر يطرحه المؤمنين بقصص الأشباح عن مدى استيعاب التاريخ لكل الأحداث التي مرت على المزرعة خلال قرنين من الزمان ؟ يا ترى الم تقع حوادث طواها النسيان وسقطت من أوراق التاريخ الصفراء أحداث اعتقد المؤرخون أن لا أهمية لذكرها ؟ لا تنس عزيزي القارئ بأننا نتكلم عن قرنين من الزمان وهي مدة لو قستها على تاريخ بلداننا لعرفت كم هي طويلة. فهناك في مدننا وحاراتنا القديمة بيوت قد لا يعلم سوى الله متى شيدت، فهل يستطيع احد أن يخبرنا عن تاريخها بالكامل وعن الأحداث التي رافقت حياة عشرات الأشخاص الذين سكنوها ورحلوا عنها إلى المقابر. نحن هنا لا نتكلم عن ثورات أو حروب أو كوارث طبيعية وإنما عن حياة الناس البسطاء. يا ترى هل يذكر التاريخ قصص الحب البريئة التي تبادلها الأولاد والبنات من فوق سطوح المنازل؟ هل سيذكر التاريخ ابن جارنا الطفل الذي دهسته سيارة مسرعة ؟ هل سيذكر التاريخ تلك الأرملة التي تجلس عند ناصية شارعنا كل صباح تبيع اللبن لتطعم أطفالها الصغار وقد ارتسم على وجهها الشاحب حزن العالم كله ؟ مع الأسف التاريخ لا يذكر هذه الأمور لأن الناس لا تهتم لها. ومزرعة الآس أيضا شهدت خلال تاريخها الطويل العديد من المآسي التي ربما لم يجد التاريخ حاجة لذكرها، لقد مات في ذلك المنزل القديم عشرات الأشخاص،

العديد منهم كانوا أطفالا حصدهم مرض الحمى الصفراء والتيفوئيد، والمزرعة شهدت أيضا العديد من النكبات وحدثت فيها فعلا بعض الجرائم ....

لكن مهلا ... هل يعني هذا بأن المنزل مسكون حقا بالأشباح ؟ ربما .. من يدري؟! وربما أيضا تكون مجرد قصص يروج لها مالكو المنزل من اجل اجتذاب السياح واستدرار أموالهم. لكن في المقابل يجب أن نتذكر بأن هناك العديد من الناس مروا بتجارب غريبة داخل هذا المنزل، وربما بعضهم أناس قد لا يرقى الشك إلى مصداقيتهم وليست لديهم مصلحة في الكذب، فهل كانت تجاربهم تلك مجرد هلوسة وادعاء؟.

على العموم، في النهاية يبقى قرار تصديق أو تكذيب هذه القصة متروكا إليك وحدك عزيزي القارئ.

١ – الآس : نبات ينمو على شكل شجيرات صغيرة دائمة الخضرة وتتميز أوراقه وزهوره البيضاء برائحة طيبة زكية، النبات معروف منذ القدم وتنتشر زراعته في البلدان العربية وعادة ما يقوم البستانيين بتهذيب أغصانه ليتحول إلى أجسام وإشكال جميلة تزين الحدائق العامة، يعرف في مصر بالـــ"مرسين" وفي الشام بالـــ"بستاني" وفي العراق بالـــ"ياس".

٢ – حرب الاستقلال الأمريكية : استمرت بين عامي ١٧٧٦ – ١٧٨٣ وانتهت باستقلال معظم أراضي ما يعرف اليوم بالولايات المتحدة الأمريكية عن بريطانيا العظمى.

٣ – ثورة الويسكي : تمرد قام به السكان في أجزاء من الولايات المتحدة وبالخصوص في مقاطعة واشنطن في بنسلفانيا بسبب ضريبة فرضتها الحكومة الاتحادية على صناعة الويسكي وذلك من اجل سداد ديونها المتراكمة جراء حرب الاستقلال عن بريطانيا. وبعد فشل المفاوضات بين الحكومة والمتمردين قام جورج واشنطن (الرئيس الأول لأمريكا) بالزحف على المتمردين على رأس ثلاثة عشر ألف مقاتل فهزمهم وأنهى التمرد.

١– الحرب الأهلية الأمريكية : حرب وقعت بين عامي ١٨٦١ – ١٨٦٥ بين الحكومة الاتحادية في الشمال برئاسة أبراهام لينكون وبين احد عشر ولاية جنوبية طالبت بالانفصال عن الولايات المتحدة الأمريكية وكان الجنوبيون تحت قيادة جيفرسون ديفيس، وقد لعبت مسألة العبودية دورا رئيسيا في نشوب هذه الحرب فالرئيس لينكون والحكومة الاتحادية كانوا ضد العبودية وأرادوا إلغائها اما الولايات الجنوبية وهي ولايات زراعية تعتمد بصورة كبيرة على العبيد في إنتاجها واقتصادها فكانت متمسكة بالإبقاء على العبودية، وقد انتهت الحرب باستسلام الجنوب وإلغاء العبودية قانونيا) عمليا استلزم القضاء على التمييز ضد السود في أمريكا قرن أخر من الزمان